

أَمَّا بَعْدُ ، فَأُوصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا "
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، الدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ ، لَا يَفْتَأُ
الْإِنْسَانُ فِيهَا يُكَابِدُ الْمَشَاقَّ حَتَّى يُودَّعَهَا ، عَلَى هَذَا
جُبِلَتْ مُذْ كَانَتْ وَعَلَيْهِ طُبِعَتْ ، لَا تَدُومُ فِيهَا عَافِيَةٌ

وَلَا تَبْقَى صِحَّةٌ ، وَلَا يَسْتَمِرُّ سُرُورٌ وَلَا يَطُولُ فَرَحٌ
، بَلِ الْمَرْءُ فِيهَا يَتَقَلَّبُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، يُصَابُ
وَيَسْلَمُ ، وَيَصِحُّ وَيَسْقَمُ ، وَيَقْوَى وَيَضْعَفُ ، وَيُسْرُّ
وَيَحْزَنُ ، وَيُبْتَلَى وَيُعَافَى ، قَالَ تَعَالَى : " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ
بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ " وَإِنَّ مِمَّا يُبْتَلَىٰ بِهِ الْعِبَادُ ، تِلْكَ الْأَمْرَاضَ
الَّتِي تُصِيبُهُمْ فَتَتَأَلَّمَ مِنْهَا أَجْسَادُهُمْ ، وَتَضِيقُ بِهَا

صُدُّورُهُمْ وَنُفُوسُهُمْ ، بَلْ وَقَدْ تَنَقَّلْتُ حَيَاةَ أَحَدِهِمْ
وَيَتَنَغَّصُ عَيْشَهُ وَيَتَكَدَّرُ خَاطِرُهُ ، غَيْرَ أَنَّ مِمَّا يَنْبَغِي
أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ مِنْهُ عَلَى ثِقَةٍ ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، لَا يُقَدِّرُ عَلَى عِبَادِهِ شَيْئًا وَلَا يَقْضِي
لَهُمْ قَضَاءً ، إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ وَاللُّطْفِ بِهِمْ

مَا لَا يَعْلَمُونَهُ وَلَا تُدْرِكُهُ عُقُولُهُمْ ، فَبِالْمَرَضِ يُدْرِكُ
الْإِنْسَانَ ضَعْفُهُ وَعَجْزُهُ وَقِلَّةُ حِيلَتِهِ ، فَيَقْوَى بِذَلِكَ
صَبْرُهُ ، وَيَنْكَسِرُ غُرُورُهُ وَكِبْرُهُ ، وَبِهِ يُرَاجِعُ نَفْسَهُ
وَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ ، فَيَعْظُمُ بِذَلِكَ ثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ ، قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ

أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ :
إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ
ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى ، مَرَضٌ
فَمَا سِوَاهُ ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ

ورقها " رواه البخاري ، وقال صلى الله عليه وسلم
: " ما يُصيبُ المسلمَ من نصبٍ ولا وصبٍ ، ولا
همٍّ ولا حُزنٍ ، ولا أذى ولا غمٍّ ، حتَّى الشُّوكَةُ
يُشَاكُهَا ، إِلَّا كَفَرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
بَلْ إِنَّ شِدَّةَ الْبَلَاءِ عَلَى خِلَافٍ مَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ

، لَيْسَتْ دَلِيلًا عَلَى كُرْهِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ أَوْ نَقْصِ قَدْرِهِ
عِنْدَهُ ، لَكِنَّهَا قَدْ تَكُونُ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ
مَكَانَةً كَبِيرَةً وَمَنْزِلَةً عَالِيَةً ، وَلِهَذَا كَانَ نَبِينَا وَهُوَ سَيِّدُ
الْخَلْقِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً ، وَكَانَ الْمَرَضُ
يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهَا : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونُ لَهُ
عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يَتَلِيهِ
بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ إِيَّاهَا " رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَصَحَّحَهُ

الألباني . وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ جَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ
دَوَاءً وَلِكُلِّ مَرَضٍ شِفَاءً ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ خَلَقَ الدَّاءَ خَلَقَ الدَّوَاءَ
، فَتَدَاوُوا " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَحَسَنَهُ الألباني . وَقَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ

دَوَاءُ الدَّاءِ بَرًّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ
تَعَالَى هُوَ خَالِقَ الْأَمْرَاضِ وَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الشِّفَاءُ ،
فَإِنَّ أَخَذَ الْأَسْبَابَ لِلْوِقَايَةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَدَفَعَهَا ،
أَوْ لِلتَّعَافِي مِنْهَا وَرَفَعَهَا ، أَمْرٌ تَدْعُو إِلَيْهِ الْعُقُولُ

الصَّحِيحَةُ ، وَهُوَ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ وَلَا يُضَادُّهُ ، بَلْ
قَدْ يَكُونُ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الْأَسْبَابِ
مَأْمُورٌ بِهِ ، مَعَ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ، وَعَدَمِ
التَّسَخُّطِ وَالْجَزَعِ . وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ الْأَدْوِيَةَ
مُتَنَوِّعَةٌ ، غَيْرَ أَنَّ أَعْظَمَهَا وَأَوْلَى مَا يَجِبُ أَنْ يَتَمَسَّكَ

بِهِ الْمُسْلِمُ مِنْهَا ، التَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ بِخَالِصِ الدُّعَاءِ ، مَعَ
الْيَقِينِ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الشِّفَاءُ ، ثُمَّ التَّدَاوِي
بِالرُّقَى الشَّرْعِيَّةِ مَعَ الْإِكْتَارِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ
، ثُمَّ أَكْلُ مَا يَنْفَعُ وَاجْتِنَابُ مَا يَضُرُّ ، وَالِاقْتِصَادُ فِي
الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ، وَالتَّدَاوِي بِالطَّبِّ النَّبَوِيِّ ، ثُمَّ بِمَا

سِوَاهُ مِمَّا ثَبَتَ بِالتَّجْرِبَةِ نَفْعُهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَنْ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ "
وَقَالَ عَنْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى
رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا
لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ " وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : " أَعْرَضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا
لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ
عَلَيْهِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى فِي بَيْتِ أُمِّ
سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ - أَيِ
سَوَادٌ مَعَ شُحُوبٍ - قَالَ : " اسْتَرْقُوا لَهَا ؛ فَإِنَّ بِهَا

النَّظْرَةَ " أَيُّ أَصَابَتْهَا الْعَيْنُ . وَفِي الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ عَنْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ
ثُمَّ قَالَ : " أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ ، وَاشْفِ أَنْتَ
الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا

" وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ
تَمَرَاتٍ مِنْ تَمْرِ الْمَدِينَةِ لَمْ يَضُرَّهُ سِحْرٌ وَلَا سُمْ " رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "
فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، إِلَّا السَّامَ "
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مَلَأَ

ابنُ آدَمَ وَعِجَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ
أَكْلَاتُ يُقْمَنُ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ ، فَتُلْتُ^{٢٤}
لِطَعَامِهِ ، وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ " رَوَاهُ أَحْمَدُ
وغيرُهُ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ : " إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ خَيْرٌ ،

فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، أَوْ شَرْبَةِ مِِنْ عَسَلٍ ، أَوْ لَذْعَةٍ
بِنَارٍ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَفَرًا مِنْ عُكَلٍ ثَمَانِيَّةً ، قَدِمُوا عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى
الْإِسْلَامِ ، فَاسْتَوْخَمُوا الْأَرْضَ فَسَقِمَتِ أَجْسَامُهُمْ ،

فَشَكَوْا ذَٰلِكَ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالَ لَهُمْ : " أَفَلَا تَخْرُجُونَ مَعَنَا فِي إِبِلِهِ
فَتُصِيبُونَ مِنَ الْبَآئِهَا وَأَبْوَاهَا ؟ " قَالُوا : بَلَى ،
فَخَرَجُوا فَشَرِبُوا مِنَ الْبَآئِهَا وَأَبْوَاهَا فَصَحُّوا...
الْحَدِيثَ . وَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْحُمَّى مِنَ

فِيحِ جَهَنَّمَ ، فَأَبْرُدُوهَا بِالْمَاءِ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .
وَبِالْجُمْلَةِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، فَإِنَّ الدَّوَاءَ مَوْجُودٌ إِذَا
أَذِنَ اللَّهُ لِعَبْدِهِ بِالشِّفَاءِ ، فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا وَعَلَيْهِ
فَاعْتَمِدُوا ، وَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ ،
وَأَشْكُرُوهُ وَلَا تَكْفُرُوهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ
عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَظَ نَفْسَهُ وَبَدَنَهُ ، وَأَنْ يَحْرِصَ
عَلَى سَلَامَةِ جَسَدِهِ وَجَوَارِحِهِ ، بِأَخْذِ أَسْبَابِ الْوِقَايَةِ
مِنَ الْأَمْرَاضِ ، وَتَرْكِ مَا يُسَبِّبُ الْعِلَلَ وَالْأَدْوَاءَ ،

سَوَاءٌ بِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ الْمُفِيدِ ، أَوْ بِاجْتِنَابِ مَا
يَضُرُّ بِالْبَدَنِ مِنْ طِعَامٍ أَوْ شَرَابٍ ، أَوْ بِأَخْذِ
العِلَاجَاتِ الوِقَائِيَّةِ وَاللِّقَاحَاتِ المَأْمُونَةِ ، وَهَذَا
يَتَأَكَّدُ فِي المَوَاسِمِ الَّتِي تَكْثُرُ فِيهَا الأَمْرَاضُ كَالشِّتَاءِ
، فَيَحْسُنُ التَّحَصُّنُ بِالعِلَاجَاتِ المُنَاسِبَةِ ، وَلبَسِ

المَلَابِسِ الْوَاقِيَةِ ، وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمُصَابِينِ وَتَقْلِيلِ
الْخُلُطَةِ بِهِمْ ، مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ ،
وَسُؤَالِهِ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ .